رائد الصهيونية العنصرية الالماني .. موسى هس (١٨١١ ـ١٨٧٥)

يصفه هرتزبرج (١) بأنه كان رجلا من رجال القرن التاسع عشر بالكامل ، ولعله يعني ذلك النوع من الرجال الذين انغمسوا في ثورة العصر ، وبعد أن هزمت ، هزموا معها ، بعد أن استغلقت امام اعينهم طرق الثورة .

أراد هس أن يضع حدا لهذا التوتر الرومانسي بين القلب والعقل ، وأن يقدم حلا يوفق بين اسطورة « الشعب المختار » وروح ثورة العصر ، ودورا « حديثا » و « تقدميا » تضطلع به اليهودية في صياغة مستقبل العالم ، فلم يجد ، نتيجة الردة التي انغمس فيها ، سوى صياغات الرومانسيين الرجعيين والكولونياليين : فهو يحدثنا بلغة صوفية غامضة عن القيم المتعالية التي ستنبع من صهيون المستعادة (الفكرة الدينية التراثية والعرقية) والامة اليهودية الجديدة التي ستقوم وتعمل كحارس على ملتقى القارات ومعلما للشعوب الشرقية المتخلفة (الفكرة والدعوة الاستعمارية الكولونيالية في ذلك العصر) فهو يتخيل دورا مميزا لليهودية ، ورسالة للدولة اليهودية داخل اطار رسالة التمدن والتحضر التي تضطلع بها دول الغرب التي تسعى الى التوسع والغزو والفتح في تلك المرحلة التاريخية ، وفكرة هس غير بعيدة عن فكرة هرتزل الاستعمارية الصريحة ، والتي كانت تشكل جزءا من عقيدته السياسية ، عن « سويسرا يهودية » تقوم كنموذج ومثال لليبرالية الاستقراطية بين أمم الشرق المتخلفة ، وهو نفس المذهب الذي كرس له بن يهودا(٢) دعوته لتحويل اللغة المقدسة ، الى لغة حديثة ذات رسالة روحية اخلاقية ، وكذلك بوروشوف (٣) الذي كان يرى في الدولة الصهيونية المبتغاة نموذجا لبناء دولة تعد المقدمة الضرورية للرسالة الملقاة على عاتق القطاع اليوهودي ، والدور المنوط به في الصراع العالمي الطبقي من اجل الاشتراكية(٤) .

ولا يصعب بالطبع أن تقرأ في هذه التطلعات الى دور المعلم والمدن لشعوب الشرق والرسالة الروحية الاخلاقية والدينية نفس اللغة التي كانت تتحدث بها الدوائر البورجوازية الرجعية الامبريالية والكولونيالية، في مرحلة التوسع والاستيطان هذه عن دور « الشعب المختار » والرسالة التحضيرية للامم الغربية سكسونية كانت أم المانية أو فرنسية الخ ودور الرجل الابيض .. أو اليهودي !! لا فرق وحسب الحاجة .

ويتساءل هرتزبرج بحق : لماذا كتب هس كتابه هذا « روما والقدس » سنة ١٨٦٢ بعد أن كان أحد مؤسسي الاشتراكية ؟ ! وكان في شبابه يدافع عن الاندماجية باعتبارها طريق تحرر اليهود(٥) .

يعترف هرتزبرج بأن العداء للسامية لم يكن في ذاته الشرط المسبق لظهور الصهيونية الحديثة . وقد تكون بعض الأحداث الفردية في مجال العداء للسامية مثل حادث دمشق الدموي المشهور سنة ١٨٤٠ قد أثر في هس ، ولكن تأثيره في الحقيقة كان تأثيرا سطحيا ، كما يذكر هو نفسه ، ولعل هرتزبرج يريد أن يجد بعدا أعمق لظهور الصهيونية في تلك الفترة ، أبعد من مجرد التأثر بحادث فردي ، أو مجرد رد فعل للعداء للسامية ، وهو يريد أن يعزوها الى ظروف العصر ، وانها جاءت كثمرة طبيعية لمجمل التاريخ الاوروبي حينذاك ولعله يريد أن يقول انها حركة قومية ، جاءت كثمرة طبيعية لعصر القومية الأولى في مجمله ، وهو الادعاء الصهيوني